احدها ان يكون دحاها بمعنى بسطها ومهدها للسكنى • ثم فسر
التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها من تسوية امر الماكل
والمشرب وامكان القرار عليها • والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار
قد كقوله تعالى او جاوكم حصرت صدورهم واعلم ان اضمار قد
هو قول الجمهور وخالف الكوفيون والاخفش قوله منها
ماءها اي من الارض عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها اي النبات
الذي يرعى والمراد بمرعاها ما ياكل الناس والانعام ونظيره قوله
تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا الى قوله متاعا
لكم ولانعامكم واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله
نرتع ونلعب وقد قرئ يرتع ويلعب بالياء والرعي في الاصل مكان
او زمان او مصدر وهو هنا مصدر بمعنى المفعول وهو في حق
الادميين استعارة • قال ابن قتيبة قال تعالى وجعلنا من الماء
كل شيء حي فانظر كيف دل بقوله ماءها ومرعاها على جميع ما اخرجه
من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والثمر
والحب والقصب واللباس والدواء حتى النار والملح • اما النار
فلانها من العيدان قال جل وعلا افرايتم النار التي تورون
اانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون • واما الملح فلانه من الماء
قوله والجبال ارساها قراءة العامة بنصب الجبال وارسى
ثبت فيها الجبال اوتادا لها • وقرا الحسن وعمرو بن عبيد وعمرو
ابن ميمون ونصر بن عاصم بالرفع على الابتداء قوله متاعا لكم
العامة على النصب مفعولا له او مصدرا لعامل مقدر اي متعكم
او مصدر من غير اللفظ لان المعنى اخرج منها ماءها ومرعاها امتع
بذلك • وقيل نصب باسقاط حرف الصفة تقديره لتتمتعوا به
متاعا والمعنى منفعة لكم ولانعامكم قوله فاذا جاءت الطامة
الكبرى في جواب اذا • احدها قوله فاما من طغى نحو اذا جاءك بنو تميم
فاما العاصي فاهنه • واما الطائع فاكرمه • وقيل محذوف فقدره
الزمخشري فان الامر كذلك اي فان الجحيم ماواه • وقدره غيره القسم
الواو تسمين وقيل عاينوا او علموا • وقيل جوابها ادخل اهل النار
النار واهل الجنة الجنة • وقال ابو البقاء العامل فيها جوابها وهو
معنى قوله تعالى يوم يتذكر الانسان • والطامة الكبرى الداهية
العظمى التي تطم على غيرها من الدواهي لعظمها والطم الدفن ومنه
طم السيل الركية • وفي المثل جرى الوادي فطم على القرى • وقيل
ماخوذ من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده في الجري والمراد
بها في القرآن النفخة الثانية لان بها يحصل ذلك • قال ابن عباس هي
النفخة الثانية التي يكون معها البعث • وعن ابن عباس رضي الله
عنه ايضا والضحاك انها القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل
شيء تغمره • وقال القاسم بن الوليد الهمداني الطامة الكبرى حين
يساق اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار قوله يوم يتذكر
بدل من اذا او منصوبا باضمار فعل اي اعني يوم او يوم يتذكر كذا
وكيت قوله ما سعى اي ما عمل من خير او شر يراه مكتوبا في كتابه
فيتذكره وكان قد نسيه لقوله تعالى احصاه الله ونسوه قوله
وبرزت الجحيم العامة مشددا ولمن يرى بياء الغيبة وقرا زيد بن علي
وعائشة وعكرمة مبنيا للفاعل مخففا وترى بتاء من فوق

ان تكون

ان تكون للتانيث وفي ترى ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا راتهم من مكان
بعيد وان يكون للخطاب اي ترى انت يا محمد والمراد يرى الناس • وقرا
عبد الله لمن راى فعلا ماضيا قال ابن عباس رضي الله عنه برزت
كشفت عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر فالمومنون يمرون عليها وان منكم
الا واردها • واما الكفار فهي ماواهم • وقيل الرؤية هنا استعارة
كقولهم قد تبين الصبح لذي عينين وقيل المراد الكافر لانه الذي يرى
النار بما فيها من اصناف العذاب وقيل يراها المومن فيقدر النعمة
قوله فاما من طغى اي تجاوز الحد في العصيان قيل نزلت في
النضر وابنه الحرث وهي عامة في كل كافر آثر الحياة الدنيا على الاخرة
فان الجحيم هي الماوى اي الماوى له او هي ماواه فقامت مقام الضمير
وهو راي الكوفيين وقد تقدم تحقيق هذا والرد على قائله بقوله
وحب فطاب الحب منها ونبعه بحسن الغزال احبه المتجرد
اذ لو كانت ال عوضا من الضمير لما جمع بينهما في هذا البيت ولا بد من
حذف هذين التاويلين في الاية الكريمة لاجل العائد من الجملة الواقعة خبرا
الى المبتدا والذي حسن عدم ذكر العائد كون الجملة وقعت راس فاصلة
وقال الزمخشري فان الجحيم ماواه كما للرجل غض الطرف وليس الالف
واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي صاحب الماوى وانه
لا يغض الرجل طرف غيره ترك الاضافة • ودخول الالف واللام في الماوى
والطرف للتعريف لانهما معروفان • قال ابو حيان وهو كلام لا يتحصل
منه الرابط العائد على المبتدا اذ قد نفى مذهب الكوفيين ولم يقدر
ضميرا كما قدره البصريون فرام حصول الرابط قال شهاب الدين
ولكن لما علم الى اخره هو عين قول البصريين ولا ادري كيف خفي عليه
هذا قوله واما من خاف مقام ربه اي حذر مقامه بين يدي
ربه • وقال الربيع مقامه يوم الحساب • وقال مجاهد خوفه
في الدنيا من الله عند مواقعة الذنب فيقلع عنه نظيره ولمن خاف
مقام ربه جنتان ونهى النفس عن الهوى اي زجرها عن المعاصي
والمحارم قال ابن الخطيب هذان الوصفان مضادان للوصفين
المتقدمين فقوله تعالى من خاف مقام ربه ضد قوله فاما من طغى
ونهى النفس ضد قوله واثر الحياة الدنيا فكما دخل في ذينك الوصفين
جميع القبائح دخل في هذين الوصفين جميع الطاعات • قال عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه انتم في زمان يقود الحق الهوى وسياتي زمان
يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمن فان الجنة هي الماوى اي
المنزل نزلت الايتان في مصعب بن عمير واخيه عامر بن عمير • وروى
الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه اما من طغى فهو ابو المصعب بن
عمير اسر يوم بدر فاخذته الانصار فقالوا له من انت قال انا اخو
مصعب بن عمير فلم يشدوه في الوثاق واكرموه وبيتوه عندهم فلما
اصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لي باخ شدوا
اسيركم فان امه اكثر اهل البطحاء حليا ومالا فاوثقوه حتى بعثت امه
في فدائه • واما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت
المشاقص في جوفه وهي السهام فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم
متشحطا في دمه قال صلى الله عليه وسلم عند الله احتسبك وقال
صلى الله عليه وسلم لقد رايته وعليه بردان ما يعرف قيمتهما وان

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)